

في أتون المعركة

ديزي الأمير

الاستفتاء موجّه للمثقفين العرب، من القطر اللبناني وبقية الاقطار العربية .

ومثقفو لبنان منهم من لم يكن في بلده طوال الثماني سنوات او بعض سنواتها .

فهل يتساوى هؤلاء بمن عاش الاحداث؟ كلها؟ كلها؟

المعاناة الحقيقية الصادقة الموجعة يحسها من عاناها بالمعايشة اليومية بكل ساعاتها ودقاتها .

الذي بقي في لبنان طوال هذه السنين ولم يغادر ولم يفكر حتى في المغادرة وقرر بتصميم واع البقاء، أظنه يحق له الحديث اكثر من غيره .

هل يدري مَنْ هم خارج لبنان كيف كان المثقف العربي المقيم سواء اكان لبنانياً أو عربياً آخر، معنى ان تكون اللحظة، أية لحظة هي النهاية؟ ان يكون الرصاص المللع في السماء وما تحتها وصولاً الى الارض قضاء عليه او تشويها مدى الحياة؟

ان ينام في بيته، وفي غرفته، وفي فراشه، هذا اذا لم يُهَجَّر، وهو لا يدري كيف ستصل اليه قذيفة تلغي البيت . . . الغرفة . . الفراش . . ولكنه ينتظرها؟

أن يعود يوماً الى بيته فيراه مسكوناً بآخرين، عذرهم وجيه لأنهم هَجَّرُوا، ولكن ما ذنبه هو صاحب البيت ان يُهَجَّر هو الآخر؟ أن يمتليء قبو بيته، وهو الذي نسميه ملجأ، بالسلاح وهو يدري ان اية رصاصة او قذيفة او صاروخ او قنبلة قد تقتلع منطقة البيت كلها؟

يطلق عليه رصاص من كاتم صوت او ناطق، فمن يسعف قتيلاً أو جريحاً وقع؟ والمسعفون يخشون بدورهم كاتم او ناطق صوت يستهدفهم؟

واذا كان يملك سيارة، يخشى ان يدير محركها خوف ان تكون متفجرة قد وضعت له تصعقه عند ادارة المفتاح؟

أن يزعم أنه أضاع هويته لثلا يعرف الواقفون على الحاجز انتهاءه الطائفي وتكون النهاية؟

ان يمتنع عن الحديث لأصدقائه، لجيرانه، خشية أن كون احدهم مدسوساً ينقل بوح نفسه المتعبة؟

أن يخشى حمل جريدة لها انتهاء معين، فيحسب على الك الانتماء ويتقرر على نوعيته نوع مصيره؟

أن يعيش ليالي العتمة، النفط للقنديل نفد، الغاز للمصباح نفد، الشموع نفدت، لا يستطيع مدّ رأسه من القبول للتفتيش عما يخفّف العتمة؟

أن يجوع والخبز المعفن الجاف لا يستطيع قضمه ولا نقطة ماء موجودة ليرطب بها الخبز، فكيف ولسانه وحلقه وشفاهة كلها يابسة؟

ان يسمع الأخبار من الترانز ستور ويحرم على نفسه سماع أية موسيقى، اية اغنية تخفف جو الهول لثلا تنضب البطاريات ولا بديل لما نفد؟

هاجس الخوف من الآتي: إهانة، جوع، عطش، اختطاف، اغتيال، تشويه، نسف، دمار، نهب، الخ . . . وهو واثق انه لو حدث له أي من هذه المصائب فلا من يسأل، فالكل يخاف ان يأتي دوره؟

والجيوش النظامية وغير النظامية، الزاحفة كيف يوقفها؟ كيف يردها؟ كيف يحاورها؟ كيف يقنعها ألا تصبّ نيرانها المدمرة عليه؟

القنابل المضيئة والرعب من الآتي بعدها أين يهرب منه؟ الى القبو؟ المملوء سلاحاً؟ واذا لم يكن فهل ينهار البناء عليه ويدفن هناك؟ الى الشارع؟ وأي شارع كان محصناً الى منطقة أخرى؟ وهل هي أكثر أماناً؟

هذه صورة مختصرة عن الحياة في لبنان سنوات الحرب التي عشتها انا كلها .

لو كنت يائسة لما بقيت . لو كنت فائضة لغادرت . لو كنت مستسلمة لانتحرت .

بقائي دليل على أني كنت أنتظر . . .

الانتظار مستقبل . المستقبل أمل . الامل حياة .

الحياة عمل . العمل حيوية . الحيوية قضية . القضية هي الانسان؟

وما دمت لا أزال أنتظر، فأنا الانسان العربي الذي لم يئأس ولم ينهزم ولم يستسلم، دون ان يطلب ثمناً .

بيروت